ما بعد التجربة

فقدت بالامس غشاء الطهر والبكارة ،
وذقت كل مـا حوته التجربة :
الرعشة الكبرى ، وذل الخوف ، والمرارة ،
والنصر ، والاثمار بعد المحل للعيون الطيبة .

لم أغتصب ، ولم يفرر بي نضار ،
بل كان للطقس الغريب سحر الاكتشاف
الداخل العتيم كان فيه بعض ما يعطي فحن للنهار ،
والافق كان زورقا يدعو لجولة البحار .

ما كنت بحارا شديد العود عرافا بما تخبيء الرياح
فكل ما عرفت من طلاسم البحار لم يعد الضفاف ،
وما حكته لي سلاسل الامواج والاصداف .

البحر كان صاحبي ، والتل ، والوادي ،
والجبل الاشم فوق قريتي ، والسهل ، والزيتون .
وكنت كالفراشة الصغيرة الجميلة الجناح
ترقص فوق الورد في ندى الصباح
ناسية للقحط ، والدمار ، والوباء ، والسجون .

وكان ان رأيت ما رأيت في زمن البراءة :
القاتل الغدار يعطي ثروة القتيل تقديرا على الكفاءة ،
ويشنق الآباء ان لم يجلبوا البنات للاجلاف ،
ويفخر المنوّرون بالانواع من جماجم الصغار
تزين الجدران في بيوتهم وتخلب الانظار .

فقدت بالامس غشاء الحلم والرؤيا ،
تفتحت عيناي ، بعد الهزة الكبرى ، الى الانواروالرؤية
تمزقت اجنحة الفراشة الجميلة الالوان
بالشوك والنيـران
عرفت طعم القحط في الدنيا
ولوعـة الحرمـان .

وكان للطقس الغريب سحره المثير :
الطوطم القديم حطمناه بالاقدام ، مزقناه بالاسنان
ثم جمعنا حوله ما عندنا من حطب قديم
واضرمت به النيـران
ثم رقصنا حوله ، واغتسلت اجسادنا بالعرق المدرار،
وردد الجميع ما انشده الزعيم
تعويذة تنجي من القحط وتأتي بالكثير .
ثم جبلنا من رماد الطوطم المحروق تمثالا صغير
علقه الزعيم فوق صدره علامة السلطان ،
وقال : « سبحوا لهذا الرمز تدليلا على الشعور
بالشكر والعرفـان » .

تعويذة تنجي من القحط وتأتي بالكثير .
الطوطم الجديد شيدناه بالايدي وعلّيناه بالاكتاف،
ثم اجتمعنا حوله، وسجد الجميع ركّعا علامة العرفان
وفاز بعضنا بما اشتهى ، ولم يفز كثير .

البحر كان صاحبي فتقت للتطواف
اصابني ما قد اصاب السندباد
في الرحلة الاولى من الشوق الغريب للابحار ،
ورؤية الشعوب والامصار .
ولم تكن بضاعتي مما يفاخر التجار
بعرضه على الملوك من حرير او لآل ،
بل حفنة مما رماه البحر ـ صاحبي ـ على الرمال
من صدف منـوع الاشكـال
وكل قطعة كأنهـا مطياف .
ظننت ان الناس مثلي يعشقون الضوء والالوان
او ما يقول البحر للسذج من اسرار
عبر الحفيف الحلو يأتيهم خلال الريح والاصداف

عرضت ما معي فلم افز سوى بالهزء والاساءة .
رأيت في رحلتي الاولى كثيرا من الدناءة
طوردت في الاسواق كالمجنون يدعو الناس للجنون
رميت دون تهمـة في ظلمة السجون
حتى تزوج الاميـر .

البحر كـان صاحبي ،
وعاد شوق السندبـاد
يدعو فتاه الغر للترحال ،
يدعو لخوض التجربة .
الخوف من ريح ، من موج ، من حيتان
صار حنينا للبعيد ، للجديد ، للحياة المرعبة
بكل ما فيهـا من العنفوان
فعالم الرؤى الذي تنقصه الجذور
تمتد في قلب الزمان والمكان
يظل عالمـا بلا نسغ ولا زهور

ركبت ظهر الموج مختالا بما احمل من تجاره
في رحلتي الاولى حملت للدنيا
بضاعة ليست سوى حجارة
لكنني الآن عليم بالحقيقة العليا :
الناس يحتاجون للحكمة من حكيم
يدلهم على الهدى ، يفوه بالبشارة
للتابعين ، ان عصر العدل والطهاره
يأتي اذا ما قد أطاعوا طاعة عميا

تجارتي اذن من حكمة متقنة العبارة
احفظها من كثر مـا رددها الزعيم .
أحفظها لما لها من قوة التنغيم ،
لما بها من روعة الاشارة ،
لانهـا تمنحني الفرصة للتفسير

لم يفقه الناس عباراتي ولا التفسير .
طوردت في الاسواق كالقوّاد يدعو الناس للدعارة
قالوا : « كفانا ما عبدنا من طواطم الاسلاف
ما لم يقت جياعنا حين اتى الجفاف » .

هربت من انيابهم ولذت في مفـارة
ليس معي سوى الاحساس بالمرارة .

جامعـة انديانا (اميركا) محمد عصفور